أنه لاشأن لهم فى الإصلاح كما أنه خدم الحكام بعدم حصر التبعة فيهم كما كان يعتقد السواد الأعظم وما أقصد بهذا وذاك إلا بيان الحق والاصلاح من طريقه والله عليم بذات الصدور .

﴿ باب التربية والتعليم ﴾

﴿ تأثير الوعظ والتذكير ﴾

كان منشئ هذه الجريدة جالسا يوما من أيام رمضان فى مقصورة ضريح سيدنا الحسين [عليه السلام والرضوان] وبجانبه شيخ من أكبر علماء القطر المصرى فنظرنا إلى القوم الذين يقبلون الأرض وقفص النحاس الذى على القبر ويستغيثون ويطلبون حاجاتهم فقرأ الشيخ « ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون » وأشار إليهم فقرأت أنا « قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين » ثم قلت له مابالكم معاشر العلماء ساكتين على هذه المنكرات وقد وصلت إلى هذا الحد ؟ فقال إن الزمان قد فسد فلا يلتفت الناس إلا إلى الباطل قلت إن الحق يعلو ولا يعلى عليه فإذا تصارع هو والباطل وثبت فلابد أن تنتهى المصارعة بالغلب له ، فقال (إذا ثبت) قلت وما يمنعه من الثبات ؟ قال إن المشتغلين بالوعظ المضر والتعليم الممزوج بالخرافات يسعون فى منع من يعلم تعليما صحيحاً ويعظ وعظا نافعا ويساعدهم من يتصلون به من الكبراء ويطعنون بالواعظ الصادق المطاعن الدينية والسياسية ، قلت له على كل حال يجب على صاحب الحق أن يظهره حتى يمنع ويجاهد به جهادا كبيرا أو يغلب على أمره . قال الشيخ لو تصدى عالم لقراءة التوحيد الصحيح والأخلاق لا يقبل عليه الناس ولكنهم يقبلون على القصاص الذين

يوافقون أهواءهم . قلت الأمر يخالف ذلك فإن حوادث الزمان قد أعدت النفوس إلى قبول الحق وطلب الإرشاد الذى ينتاشهم من هذه المهاوى وينقذهم من هـذا الشقاء وإننى قد بلوت الناس فألفيتهم كما حدثتك وها أنا ذا أقرأ درساً هنا وقد أقبل علىّ الناس إقبالا لم يكن ينتظر وصاروا يتحدثون من أول يوم بنفعه حتى قال بعضهم لو أن عندنا مائة مدرس كهذا لما حل بنا ما نحن فيه من الرزايا . قال الشيخ وهل أقبلوا عليك كما يقبلون على فلان . . . فنقول إن التعليم النافع يروج كما يروج غيره مثلا ؟ قلت له لا ولـكن السبب فى زيادة إقبالهم على فلان ليس هو تفضـيل تعليمه ولـكنهم اعتادوه بطول الزمن مع موافقته لرغائبهم كما قلتم وأنا أرجو أن يرجحوا جانب الحقيقة الذى فيه مصلحتهم على جانب التمويه الذى فيه لذتهم إذا وجد من يميز ذلك لهم .

هذا مادار بيننا من المحاورة والتجربة تشهد لما قلته آنا بعد آن وإليك هذه الواقعة التى حدثت فى هذه الأيام .

قام أحد الشيوخ فى هذه الأيام يرغب الناس فى الحج فى مديرية الشرقية ويحثهم على أدائه فى هـذا العام فجوّل فى مديرية الشرقية بهذا الوعظ فأثر فى نفوس الناس حتى استسهلوا المصاعب واستخفوا بالنوائب وارتـكبوا معصية الربا الفاحش فاستدانوا ورهنوا أملاكهم للدائنين ثم استأجروا منهم الفدان الواحد بأربعة جنيهات فـكان مجموع الفضل الذى أخذ منهم عشرين فى المائة وهو ربا لا يصح فى شرع ولا قانون ارتـكبوا هذه الـكبيرة عالمين بأن فى بعض البلاد الحجازية وباء يخشى أن يعلق بهم مكروبه وتلحق بهم كروبه ومستيقنين أن النفقات فى هذا العام تـكون مضاعفة كما أن أثقال السفر ومشقاته مضاعفة وربما كان بعضهم يعتقد أن زيادة الأجور والنفقات عن قدر الاعتدال تسقط الوجوب عن المستطيع . لماذا حمل هؤلاء هذه الأوزار والأثقال

وأقدموا على هـذه الأعمال ؟ أليس إجابة لداعى الوعظ الذى حملهم عليه العالم باسم الدين ؟ بلى قد امتثلوا أمر الواعظ ولم يلتفتوا إلى قول الشاعر :

إذا حججت بمال أصله دنس فما حججت ولـكن حجت العير

لايقبل الله إلا كل طيبة ما كل من حج بيت الله مبرور

فإذا كان قول العلماء يقبل بمثل هذا وتنتهى طاعتهم إلى هذا الحد فماذا يكون من أمرهم إذا أنشأوا يبينون للناس طرق سعادتهم فى دينهم ودنياهم من الوجوه التى تتغذى بها عقولهم وتتشربها نفوسهم وقلوبهم ؟ لعمرك إن الأمة تنهض بذلك نهضة الأسود فتحفظ موجوداً وتسترد مفقوداً وتنال عند الله مقاماً محموداً .

﴿ عبرة لمن يعقل ﴾

كان أحد أعيان الشرقية الأغنياء . مغرما بحب الأولياء . معتقداً بركاتهم ملتمساً لنفحاتهم . وكان يرى أن أفضل مايتقرب به إليهم المتقربون . ويستحق به رفدهم ونوالهم الطالبون . إنما هو الاحتفال بموالدهم وإنفاق الأموال فى مشاهدهم . فكان يشد فى كل سنة إليها الرحال . وينفق بدر الأموال . حتى إنه كان يسير إلى مولد السيد البدوى مئة وسبعين راحلة . وإلى مولد البيومى مثل هذه القافلة . ويضرب فى تلك المشاهد الخيام ويذبح لإقراء الضيوف الأنعام حبا فى أولئك السادات . وتعرضا لتلك الفيوضات . وما كان ريع أرضه الواسعة الخصبة . ليفى بنفقاته وبهذه القربة . ولذلك كان يستدين النقود . من بعض صرافى اليهود . وأنت تعلم أن شعب إسرائيل . لا يقنع بالرباء القليل . فما زالت تلك البركات الوهمية . والفيوضات الخيالية . تمحق بالرباء أمواله . كما تحبط بالمعاصى أعماله . حتى جعلته أفقر أهل زمانه . وأمسى الصراف اليهودى يتمتع بمائتين وثمانين فدانا من أطيانه ولم يزل ذلك الأحمق السفيه . حيا يعيش فى حجر أخيه .